بلاغـــة الاســـتفهام في الشـــعر العربـــي دراســـة تطبيقية في ديـــوان الهذليين

د. عائشة الأمين محمد عمر سليمان ـ كلية التربية. أبو عيسى .جامعة الزاوية

المُقدّمـــة:

الحمد لله حمداً كثيراً كثير العطايا عالم الغيب سبحانه، وأشكره على ما جاد به علينا، وأشهد أن لا إله إلا الله وان نبينا وسيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله النبي المؤتمن -صلى الله عليه وسلم-

أما بعد :

فإن الشـــعر العربي هو ديوان العرب ، فهو يمثل لغتهم وحياتهم وكل عاداتهم وتقاليدهم ؛ ولذلك كان المرجع للاستشهاد في أي قاعدة نحوية، وكان هذا الاستشهاد تحكمه ضوابط معينة حول القبيلة التي تؤخذ منها اللغة، ومن بين هذه القبائل : قبيلة هذيل ،وهي إحدى القبائل العدنانية، ونجد أن كتب الأدب و كتب اللغة نحوها وصرفها ، لم تخلُ من بعض الأبيات الشعرية لقبيلة هذيل وأكثر شعرائهم ذكرا الشاعر أبو ذؤيب ، وهذا إن دل على شيء فإنما دل على بلاغة وفصاحة تلك القبيلة ، وهذا ما شدني لأن أخوض غمار البحث في شعر هذه القبيلة ،ودراسة جانب نحوي واحد وهو أسلوب الاستفهام ،على الرغم من أن أشعار الهذليين مليئة بالأساليب اللغوية المتنوعة والبليغة، إلا أنني آثرت أن تكون دراستي هذه في جانب واحد هو الاستفهام.

حيث جعلتها في مقدمة وتمهيد يشمل التعريف بالاستفهام ومفهومه وأدواته والمعاني التي يفيدها.

ثم الحديث عن ديوان الهذليين والتعريف به، ثم توصلت إلى الخاتمة التي وضعت فيها نتائج دراستي هذه بعد الخوض في شعر الهذليين، ثم الهوامش والمصادر.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الرغبة الجادة في الخوض في الشعر العربي ودراسته دراسة لغوية.
2. إبراز الجمال اللغوي الذي يتمتع به شعر الهذليين.

أهمية الدراســــــــة:

أ- تتجه هذه الدراسة إلى تناول أدوات الاستفهام حروفاً، وأسماء، وبيان خصائص كل منها.

ب- بيان بلاغة أدوات الاستفهام الواردة في الشعر وفصاحته.

منهـــــــج الدراســــــــة:

هذه الدراسة ستتبع المنهج الوصفي التحليلي، إذ أصف أداة الاستفهام، وقواعدها، ثم أحللها ضمن البيت الشعري الواردة فيه.

مادة الدراســــــــــة:

تتمثل مادة الدراسة في أشعار الهذليين الواردة في ديوان الهذليين.

أولاً- التعريف بديوان الهذليين:

ديوان الهذليين من الدواوين الشعرية المهمة وهو يضم مجموعة كبيرة من الشعراء الكبار،

وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يحتوي على شعر أبي ذؤيب، وساعدة بن جؤية، وخالد بن زهير.

والقسم الثاني: شعر المتنخل، وعبد مناف بن ربع، وصخر، وأبي كبير وأبي خراش، وأمية بن أبي عائذ، وأسامة بن الحارث.

والقسم الثالث: يحتوي على شعر مالك بن خالد الخناعي، وأبي قلابة، ومعقل بن خويلد، وأبي جندب وحذيفة بن أنس، وأبي بثينة، وهذا الديوان من تأليف الهذليين.

ثانياً-الاستفهام:

مفهومـــــــه : عرف علماء اللغة الاستفهام بأنه طلب الفهم، فقولنا:(استفهمه) يعني: طلب منه أن يفهمه(1)، ويعرفه النحاة بأنه طلب معرفه الشيء(2) ، ووردت في كتب اللغة مصطلحات مثل الاستعلام، والاستخبار، ولا فرق بينهما وبين الاستفهام(3) ، فقد سوى العلماء بين المصطلحات الثلاثة ومنهم ابن يعيش حيث يقول: " الاستفهام، والاستعلام، والاستخبار بمعنى واحد ". (4) ، وقد سماه ابن فارس الاستخبار، وهو عنده طلب ما ليس عند المستخبر، فالسائل قد يستخبر عن الشيء وقد يفهمه، أو لا يفهمه، فإن أعاد السؤال عنه فهو مستفهم، وهو ما يسميه الاستفهام، والدليل على ذلك أن الله-سبحانه وتعالى-يوصف بالخبير ولا يوصف بالمستفهم.(5)

أدوات الاســــــتفهام : للاستفهام أدوات منها الاسمية ومنها الحرفية، فالحرفية الهمزة، و(هل)، والاسمية من، وكيف، وأين، ومتى، وما، وكم، ولكل منهم دلالته

الخاصة بحكم اسميته، فـ(أين) تدل على المكان، و(من) للعاقل، و(ما) لغير العاقل، و(كيف) للحال.(6) ، وأدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام كما يرى ابن يعيش حيث يقول: "إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية، فنقلها من الخبر إلى الاستخبار، فوجب أن يكون متقدماً عليها ليفيد ذلك المعنى".(7)

ومن حيث المعنـــــــى فإن الاستفهام قد يكون حقيقياً، وقد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معاني أخرى نفهمها من السياق، وقد تحدث النحاة عن ذلك قال أبو حيان: "الاستفهام على ضروب: طلب المعرفة وهو الاستفهام الذي لا يشوبه شيء، واستفهام عن طريق التسوية نحو: سواء أ قمت أم قعدتَ؟، واستفهام على سبيل التقرير، نحو:ألم أحسن إليك؟ ولا يكون إلا بالهمزة، واستفهام على سبيل الإنكار".(8)

أولاً ــ الهمـــــزة : عد النحاة الهمزة أم الاستفهام، وهي ذات أهمية كبيرة عند النحاة والبلاغيين، وقد ميزوها عن (هل)، يقول سيبويه: "وذلك لأنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره"، (9) أما بقية أدوات الاستفهام فقد تضمنت معنى الهمزة، فحملت عليها، واستعملت استعمالها، فالمبرد يرى "أن كل باب أصله واحد ثم تدخل عليه دواخل لاجتماعها في المعنى."(10)

خصائص الهمـــــزة : تمتاز الهمزة بخصائص تجعلها تتميز عن غيرها من أدوات الاستفهام، أولها:

أ. **التصـــــــــور:** وهذه خاصية اختصت بها الهمزة دون غيرها من الأدوات فهي تستعمل للتصور، وتكون الإجابة عنه بالتعيين، كقولنا: أزيد في الدار، أم خالد؟ فالإجابة تكون بتعيين أحدهما أي الموجود في الدار، فنحن نعلم بوجود شخص في الدار، ولكننا نجهل من هو، فأردنا التعيين، وهنا يرى سيبويه أن تقديم الاسم على الفعل أحسن، وذلك لأننا حين نقول: أزيداً لقيت أم بشراً؟ فإننا أردنا هذا المعنى، أي: التصور، فتقدم الاسم أحسن لأننا لا نسأله عن اللقي، وإنما نسأله عن أحد الاسمين، لا ندري أيهما هو، فبدأنا بالاسم لأننا قصدنا أن يبين لنا أي الاسمين، وهذا إذا أردنا تعيين الاسم، فالاستفهام يتسلط على الأول أي على ما يتصل به مباشرة.(11) وهذا مثل قول أبي ذؤيب:

لابد من تلف مقيم فانتظـــر أ بأرض قومك أم بأخرى المصْرع.(12)

ب. **التصديـــــــــــق:** هو إثبات النسبة وتكون الإجابة ب(نعم) في حالة الإثبات، وب (لا) في حال النفي يقول في ذلك العلوي: "وأما كونها سؤال عن التصديق ففي قولك: أ أقام زيد؟ أزيد قاعد؟، ونحو: أأنت راكب ؟، ففي الأول يكون الجواب بذكر

حصول الصفة، أو نفيها وهذه هي فائدة التصديق (13)، فـــي الأول سؤال عن الصفة ، وفي الثاني سؤال عن الموصوف، فالمسؤول عنـــــه هو أول شيء يذكر بعد أداة الاستفهام.

ج ـ جـــواز حذفها : من خصائص الهمزة - أيضا - جواز حذفها ، وذلك إذا اقترنت ، نحو قوله - تعالى- : " أأنذرتهم أم لم تنذرهم " (14) فتحذف الهمزة تخفيفا (15) ، ويستدل على الهمزة المحذوفة بواسطة الســـــياق ، أو وجود (أم)، وقد جـــوّز سيبويه حذفها في الشعر، إذا خلصت من الكراهـــــة، (16) ، ومن ذلك ما جاء في شعر ديوان الهذليين قول أبي ذؤيب :

تغيرت بعدي أم أصابك حـــادث مـــن الأمر أم مرت عليك مرور (17)

فأبو ذؤيب هنا يتســـــاءل: ما الذي غير مخاطبه؟، هـــل أصابه حدث معين؟، أم مـــر بأشياء، وأسباب أخرى، ولكن يا ترى كيف عرفنا أن في البيت استفهاما؟، مع أنه ورد من دون أداة استفهام، الذي دلنا على أن هناك استفهام هو وجود (أم)، وهي دلالة على وجود همزة استفهام محذوفة في البيت، وتقديرها (أتغيرت).

د ـ جواز دخـــــــول الهمزة على الاسم والفعل : يـــــرى النحاة أن الهمزة يليـــها الاسم ، ويليها الفعل ، ولكـــــن أن يليها الفعل أولـــــى من أن يليها الاســـم ، يقول سيبويـــــه : " واعلـــــم أنه إذا اجتمع بعد حـــــروف الاستفهام نحـــــو (هل، وكيف ، ومن اســـــم وفعل كان الفعل بأن يلي حـــــرف الاستفهام أولى؛ لأنها عندهم في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل " (18)، وأمَّـــا البلاغيـــــون فيرون جواز دخول الهمزة على الاسم والفعل بلا قبح. (19)

وهذه بعض النماذج من شعر الهذليين:

أولاً- دخول الهمزة على الاسم: يقول أبو ذؤيب:

عصياني إليها القلب أنى لأمـــره سميع فما أدري أرشد طلابها ؟ (20)

نلاحظ في هذا البيت دخول همزه الاستفهام على الاسم رشدا، وهذا من باب التوسع كما يراه البلاغيون، فالشاعر هنا يتساءل بعد أن خطر إليها قلبه، وذهب إليها، هل هذا

رشد أم هو غي. (21)، (فأدخل الهمزة على الاسم (رشد)؛ لأنه يريد تحديد المسؤول عنه، هل هو رشد أم غي.

ثانياً-دخول الهمزة على الفعل:

وذلك كقول أبي ذؤيب:

فسوف تقول انهي لم تجدني أخان العهد؟ أم أثم الحليف؟ (22)

فالشاعر هنا يتساءل هل خان حليفه العهد الذي بينه وبينه؟ فاستخدم همزة الاستفهام، وأدخلها على الفعل الماضي (خان)، ودخولها على الفعل هو الأصل عند سيبويه، (23)؛ وذلك لأن الشك كان في الفعل نفسه وليس في الفاعل، وهنا الشاعر يشك في فعل الخيانة وليس في حليفه لذلك أدخل همزة الاستفهام على الفعل وليس الفاعل.

وتختص الهمزة بالدخول على الجملة المنفية، والجملة المثبتة، ومن أمثلة دخولها على الجملة الفعلية المثبتة ما يلي:

يقول أبو ذؤيب:

بأحسن منها يوم قالت كليمة أتصرم حبلي أم تدوم على الوصل؟ (24)

فقد دخلت همزه الاستفهام في هذا البيت على الفعل المضارع (تصرم)، أي: تقطع، وفاعلها ضمير مستتر تقديره (هي) وهي جملة فعلية مثبتة.

وقول ساعدة بن جؤية:

أهاجك من غير الحبيب بكورها أجدت بليل لم يعرج أميرها. (25)

وفي شعر ساعدة أيضا دخلت الهمزة على الفعل الماضي (هاجك)، وهو فعل مثبت لم يسبقه نفي، ومن أمثلة دخولها على الجملة الفعلية المنفية :

تدخل الهمزة على الفعل المنفي بأي أداة نفي، مثل: (لا، ولم، وليس)، ومما ورد في ديوان الهذليين:

1. الهمزة مع (لا): يقول أبوذؤيب:

ألا زعمت أسماء ألا أحبها فقلت بلى لولا ينازعني شغلي؟ (26)

في هذا البيت دخلت الهمزة على الفعل الماضي المنفي ب (لا)، فاجتمع أداتان: همزة الاستفهام، و(لا) النافية فتصيران (ألا)، وبهذا تعطي معنى العرض والتحضيض

(27)، إلا أنها لا تتجرد من معنى الاستفهام، ومعنى التحضيض مستفاد من الاستفهام. (28)

وينكر الجرجاني أن يكون العرض في (ألا) استفهاما؛ لأن قولك: (ألا تنزل) مثلا، لا يقصد به الاستفهام عن النزول، وإنما يقصد به عرض النزول فقط. (29) والشاعر هنا لا يستفهم عن حب أسماء، وإنما يقصد به عرض ما يشغله عنها، وينازعه وهو شغله

2. **الهمزة مع (لم):** لم حرف جزم، ونفي، وقلب، تدخل على الفعل المضارع فتجزمه، وتنفيه، وتقلبه ماضيا، وعند دخول الهمزة على (لم) تصير دالة على التقرير، "فالتقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه " (30)

ومما ورد في ديوان الهذليين قول الشاعر البريق:

ألم تعلموا أن قد تبدلت بعدكم ديافية تعلو الجماجم من عل. (31)

فقد دخلت همزه الاستفهام على الفعل المضارع المنفي، والمجزوم ب (لم) وهو فعل مضارع مجزوم بحذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والاستفهام هنا ليس الغرض منه الاستفهام عن علمهم فقط، وإنما أصبح استفهاما إنكاريا، فهو قد تبدل حتى أصبح كالسيوف فوق الجماجم وهذا ما يقصده بقوله: (ديافية)، أي: هي ضرب من السيوف نسبة إلى قرية بالشام يقال لها (دياف).(32)

3 - **الهمـــــزة مع (ليـس):** (ليس) فعل ماض ناقص جامد يفيد النفي(33)، وهي قابلة أن تجيء في سياق الاستفهام فيسرى إليها ما فيه من معنى الإنشاء، وهي تنفي مضمون الجملة قبل دخول همزة الاستفهام عليها (34) ، ومن الأبيات التي وردت فيها الهمزة مع (ليس) في ديوان الهذليين ما يلي:

يقول أبو ذؤيب:

تأبط نعليه وشق فريره وقال: أليس الناس دون حفائل؟ (35)

في هذا الحديث دخلت همزه الاستفهام على (ليس)، وهي تفيد النفي فاجتمع استفهام مع نفي، وهذا أعطي معنى الإنكار من الشاعر، فقد أنكر على هذا الغازي الذي احتضن نعليه وحمل نصف خروفه، أو لبس نصف فروه، واستقرب من الغزو لبلدة اسمها حفائل. (36)

ثانيا ــ هل: هل حرف استفهام لا يستفهم به إلا عن مضمون الجملة المثبتة، إلا أنها قد تخرج عن حد الاستفهام فتكون بمعنى (قد). (37)، كما في قوله تعالى: " هل أتى على

الإنسان حين من الدهر" (38)، وعندما تدخل (هل) على الجملة المثبتة يكون الجواب ب (نعم) في حالة الإثبات وب (لا) في حالة النفي، كقولنا: هل قام زيد؟، فيكون الجواب ب (نعم)، أو (لا) (39) وإذا دخلت (هل) على الفعل المضارع فإنها تخصصه بالاستقبال، مثل: (السين وسوف)، لكنها إذا دخلت على الفعل الماضي أو الجملة الاسمية فإنها لا تؤثر فيها شيئا، ودخولها على الجملة الفعلية هو الغالب. (40)

وهذا ما يراه سيبويه حيث أن حروف الاستفهام يستقبح أن يأتي بعدها الاسم إذا كان بعده فعل كقولنا: هل زيد قام؟ ولم يجز ذلك إلا في الشعر. (41)

بعض النماذج الشعرية من الديوان:

أولا ـ هل والجملة الاسمية:

1 - يقول أبو ذؤيب :

هل الدهـــر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها. (42)

ورد حرف الاستفهام (هل) في قول الشاعر: (هل الدهر إلا ليلة) مستفهما به عن مضمون الجملة الاسمية، فقد دخلت على (الدهر)، وهو مبتدأ مرفوع بالضمة، وهذا جائز؛ لأنه لم يأت بعد الاسم فعل.

ويقول أسامة بن الحارث:

يظل محم الهم يقسم أمره بتكلفة هل آخر اليوم آئد ؟(43)

وفي هذا البيت دخلت (هل) على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ، والخبر، وهي (هل آخر اليوم آئد)، (آخر): مبتدأ مرفوع بالضمة وهو مضاف، و(اليوم): مضاف إليه مجرور بالكسرة، و(آئد): خبر المبتدأ مرفوع بالضمة، وهنا جاز دخول (هل) على الاسم لأنه لم يأت بعده فعل.

1. **ثانيا -(هل) والجملة الفعلية :** بعض النماذج من ديوان الهذليين:

يقول ساعدة بن جؤية :

ألا هل أتى أم الصبيين أنني على نأيها حمل على الحي مقعد. (44)

دخلت (هل) هنا على الفعل الماضي (أتى) وهذا هو الأصل.

2 - يقول خالد بن زهير:

ألا ليت شعري هل تنظر خالد عيادي على الهجران أم هو يائس؟ (45)

وفي هذا البيت دخلت (هل) على جملة فعلية، فعلها ماض، هي (هل تنظر خالد)، تنظر: فعل ماض مبني على الفتحة، وخالد: فاعل مرفوع بالضمة.

3 - يقول المتنخل:

هل أجزينكما يوما بقرضكما والقرض بالقرض مجزي ومجلوز. (46)

في هذا البيت دخلت (هل) على جملة فعلية فعلها مضارع في قول الشاعـــر: (هل أجزينكما)، فـــ: (أجـــزي) فعل مضارع مبني على الفتحة لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و(الكاف) ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنا)، وهنا أصبح الفعل فيه معنى الاستقبال بسبب دخول هل عليه.

ثالثاً ـ كـــــــم: تستخدم كم للسؤال عن العدد، (47) وتكون للسؤال عن المفرد وعن الجمع، (48) وقد وردت في الكثير من أشعار الهذليين ومنها:

1. **يقول أبو ذؤب:**

كم من جمع الشمل ملتئم الهوى باتوا بعيش ناعم فتصدعوا (49)

وردت (كم) في هذا البيت يستفهم بها الشاعر وهي متضمنة معنى الجمع.

2. **يقول أبو خراش:**

كم من عقيد وجار حل عندهم ومن مجار بعهد الله قد قتلوا (50)

وهي هنا في هذا البيت (كم الخبرية)، وليست استفهامية (كم) الاستفهامية لم ترد في شعر الهذليين .

رابعا ــ متـــــــى : (متى) اسم استفهام يستعمل للسؤال عن الزمان ماضي كان أم مستقبلا، (51) قال سيبويه: وأما متى فإنما أريد بها أن يوقت لك وقتا، ولا تريد بها عددا، فإنما الجواب فيه: اليوم، أو يوم كذا، أو شهر كذا، أو سنه كذا، أو الآن، أو حينئذ، أو أشباه ذلك" (52)، وهي ظرف يسأل بها عن الزمانين: الماضي والمستقبل، نحو: متى خرجت؟ ومتى تخرج؟ و(متى) اسم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية، وقد وردت في ديوان الهذليين لكنها لم تكن بمعنى الاستفهام فقد كانت في بعضها شرطية، والبعض الآخر بمعنى (من) على لغة هديل

وهذا بعض مما ورد في الديوان:

1- قال أبو ذؤيب:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج.(53)

نرى في هذا البيت قوله: (متى لجج خضر) لم يأت بها بمعنى الاستفهام، فهو هنا لا يسأل، ولكن (متى) جاءت بمعنى (من) على لغة هذيل، أي: من لجج خضر(54).
يقول ساعد بن جؤية :

متى ما تلقني ومعي سلاحـــي تلاق الموت ليس له عديل. (55)

وردت (متى) في هذا البيت بمعنى (من) الشرطية، ولم يقصد بها الاستفهام وقد جزمت فعل الشرط (تلقني) بحذف حرف العلة، وجزمت جواب الشرط (تلاق) بحذف حرف العلة أيضا.

2- **خامسا –أي :** من أدوات الاستفهام(أي) وهي اسم استفهام يفيد تعيين الشيء، وتميزه فهي تستخدم للتمييز بين شيئين، (56) و(أي) يجوز إضافتها إلى المعرفة، كما يجوز إضافتها إلى النكرة، وهي كل مع النكرة، وبمنزلة (بعض) مع المعرفة، كقولنا: أي رجل أخوك؟ فهي هنا مضاف إلى نكرة، وأي الرجلين أحسن؟ أضيفت إلى معرفة. (57) وذكر النحاة أنها تستعمل للعاقل وغير العاقل بحسب ما تضاف إليه، وإذا أضيفت إلى الزمان فهي زمان، وإذا أضيفت إلى مكان فهي مكان. (58)
بعض النماذج من ديوان الهذليين

1. **قال المعطل**:

فأي هديل وهي ذات طوائف يوازن من أعدائها ما نوازن. (59)

ورد اسم الاستفهام (أي)هنا مضافا إلى هذيل، وهو يريد تحديد المستفهم عنه وهو أي طائفة من طوائف هذيل فأراد الشاعر تحديدها.

2. **قال المعطل- أيضا:-**

فإن تنتقص منا الحروب نقاصة فأي طعان في الحـــروب نطاعن.(60)

وهو هنا استخدم (أى) وهي المضافة إلى النكرة(طعان)

سادسا -الاستفهام بـ (ما): (ما) اسم استفهام للسؤال عن كل شيء، وهي " سؤال عن ذات غير الآدميين، وعن صفات الآدميين "61)، والعرب يحبون الاختصار كذلك كانت (ما) الاستفهامية اختصارا لكثير من الكلام، وهي مبنية لتضمنها معنى الاستفهام، فإذا قلت: ما بيدك ؟،فكأنك قلت: عصا بيدك أم سيفا أم خنجرا؟، ونحو ذلك مما يكون بيده وليس عليه إجابتك عما بيده إذا لم تأت على المقصود ،فجاءوا ب (ما) وهو اسم واقع

على جميع ما لا يعقل مبهم فيه وضمنوه همزة الاستفهام ،فاقتضى الجواب من أول وهلة" (62)

وتقع (ما) الاستفهامية في موضع رفع، أو نصب، أو جر، فقولنا: (ما اسمك؟) تكون في موضع رفع على الابتداء، وقولنا :(ما فعل زيد؟)في موضع نصب ،وقولنا :(فيم ؟) تكون في محل جر، وفي هذه الحالة يجب حذف ألف(ما) الاستفهامية. (63)

بعض النماذج من الديوان:

1. قال أبوذؤيب:

قالت أميمة: ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع؟ (64)

الشاعر هنا استخدم أداة الاستفهام (ما) لغير العاقل في قوله :(ما لجسمك شاحبا؟)، وهي هنا للسؤال عن الوصف

2. **قال أبو قلابة:**

يا حب ما حب القتول؟ وحبها فلس فلا ينصبك حب مفلس. (65)

فهنا الشاعر يسأل محبوبته عن الحب الذي يقتل وقد استخدم (ما) الاستفهامية؛ لأنه يسألها عن غير عاقل.

سابعا-الاستفهام بـ (أين):

أين اسم استفهام يستفهم به عن المكان، (66) وقد وردت في ديوان الهذليين في قول أبي خراش:

تذكر ما أين المفر وإنني بغرر الذي ينجي من الموت (67)

وهنا يتساءل الشاعر مستخدما اسم الاستفهام (أين)، وقد دخل على الاسم المفرد، وهذا جائز عند النحاة، إذا لم يكن هناك فعل بعد الاسم، (68) و(أين) هنا في محل رفع خبر مقدم و(المفر) مبتدأ مؤخر مرفوع.

ثامنا -الاستفهام بـ (كيف):

كيف اسم استفهام يستفهم بها عن الحال، حال الشيء لا عن ذاته، وذهب سيبويه إلى أن (كيف) ظرف، (69) إلا أن ابن يعيش خالفه في ذلك إذ يقول:" والصحيح أنها اسم صريح غير ظرف وإن كان قد يؤدي معناها معنى على أي حال "(70)، وقد اعتبرها ابن جني ظرفا حين قال:" والظروف: متى وأين وكيف."(71)

وهكذا فان النحاة اختلفوا حول اسمية (كيف)، أو ظرفيتها لكن الصحيح أن (كيف) اسم، إذ لا يجاب عنها بالظرف مثل (متى وأين) فهذان جوابهما يكون ظرفا. (72)

أما إعراب(كيف) فقد تقع خبرا مقدما إذا جاء بعدها اسم مرفوع كقولنا: كيف حالك؟، وتقع حالا، كقولنا: كيف جاء زيد؟ أي: على أي حال جاء زيد؟ (73)، وتقع خبرا مقدما للفعل الناقص إذا وقع بعدها، فقولنا: كيف أصبحت؟ جوابه: صالحا، فكأننا قلنا: أصالحا أصبحت أم طالحا؟ فهذا جوابه كما ذكر المبرد. (74)

وقد ذكر ابن هشام ذلك في ثلاث نقاط :

1. أن(كيف) موضوعها النصب دائما عند سيبويه والرفع مع المبتدأ والنصب مع غيره.
2. تقديرها عند سيبويه: في أي حال، أو على أي حال، وعند الأخفش والسيرافي: في نحو كيف زيد؟أصحيح زيد؟
3. الجواب المطلق عند سيبويه وهو (على خير)، ونحوه، ويجوز أن يجاب ب (خير عافاك الله)،أي: على خير فحدث حرف الجر وأبقى عمله ،فإن أجيب على المعنى دون اللفظ صحيح أو سقيم ،أما عند الأخفش والسيرافي فالعكس . (75)

وأخلص إلى القول: إن (كيف) اسم استفهام مبني على الفتحة، وإن لها صدر الكلام، وبنيت على حركة فرارا من التقاء الساكنين، فكانت هذه الحركة فتحة؛ لأنها أخف، وذكر ابن هشام ذلك بقوله:"وإنما بنيت لتضمنها معنى همزه الاستفهام، وبنيت على فتحة طلبا للخفة " (76)

وقد وردت كيف في بعض اشعار الهذليين.

بعض النماذج من ديوان الهذليين :

قال أبو ذؤيب:

إذا نزلت سراة بني عدي فسلهم كيف ماصعهم حبيب(77)

في هذا البيت استخدم أبو ذؤيب اسم الاستفهام (كيف)، وهو يسأل عن المماشقة أي: المضاربة والمجادلة بالسيف و (حبيب) هو المنعى، وهو هنا عندما يسأل يريد إيضاح أن مضاربة حبيب هي الأقوى.

2 - قال ساعدة بن جؤية:

فإن تك قسر أعقبت من جندب فقد علموا في الغزو كيف نحارفُ. (78)

والشاعر هنا يتفاخر على غيره من القبائل، ويقول قد علموا كيف نصنع بهم إذا غزوناهم، أي: كيفية محاربتنا إياهم.

3 - قال أبو ذؤيب:

وكن بالروض لا يرغمن واحدة من عيشهن ولا يدرين كيف غد. (79)

وهنا استخدم الشاعر (كيف) للسؤال عن الأحوال في الغد كيف ستكون، فهي اسم استفهام عن الحال، فكان هنا فيما وضع له في أصل اللغة.

الخاتمـــــــــة

وهكذا بعد رحلة ممتعة في ديوان شعر أعجبني وهو ديوان الهذليين، رأيت فيه قمة البلاغة العربية، واستشعرت فيه حلاوة الإبداع العربي، الذي درست فيه جانباً بسيطاً من جوانبه وهو الاستفهام، ذلك الأسلوب الذي ورد كثيرا في الديوان بأدواته المختلفة وقد استعملت كل أداة منها في مكانها المناسب والدقيق.

وبعد هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

1. ورود العديد من أدوات الاستفهام في الديوان.
2. أعطت أدوات الاستفهام معاني بلاغية دقيقة.
3. أساليب الاستفهام الواردة في الديوان أساليب محكمة وغاية في الدقة والبلاغة.
4. تضمنت بعض أدوات الاستفهام معان أخرى مثل (متى) فقد تضمنت معنى (من) في بعض الأبيات.

الهوامش:

1 – انظر: لسان العرب، ابن منظور (ت771هـــ)، بيروت، 1956، مادة (فهم) ، 2 \459.
2 –انظر: شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي ، القاهرة . 8\150
3-انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تحقيق :عبد الإله نبهان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ط1، 1995 - 2\129
4-انظر: شرح المفصل . 8 \ 150
5– انظر : الصاحبي في فقه اللغة ، وسنن العربية في كلامها ،ابن فارس ، تحقيق وتعليق : مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران ، بيروت-1964. ص :292
6–انظر : شرح المفصل . 8 \ 3
7–المصدر السابق . 8 \155
8–ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أثير الدين محمد بن حيان الأندلسي، تحقيق وتعليق : مصطفى أحمد النحاس ،نشر المحقق بكلية اللغة الغربية، القاهرة ط1 ، 1984 . 1 \327
9- الكتاب ،سيبويه، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل –بيروت ط1 . 1 \ 99
10-المقتضب، المبرد (ت285ه)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت . 2 \46
11- انظر : الكتاب ، 3 \ 169
12 –ديوان الهذليين، للشعراء الهذليين ، ترتيب وتعليق : محمد محمود الشنقيطي ، الدار القومية للطباعة النشر ، القاهرة ،مصر ، 1385ه – 1965م 1 \ 3
13- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن علي العلوي (ت749)، مصر.1914. ص : 289
14 –سورة البقرة ، من الآية (5)
15 –انظر : المقتضب ، 3 \ 307
16- الكتاب ، 3\174 -175
17-ديوان الهذليين.1\137
18-الكتاب . 3/ 174 -175.
19-انظر المصدر السابق. 3 /115.
20-ديوان الهذليين 1 /71.
21-انظر ديوان الهذليين المصدر السابق .1 /71.
22- ديوان الهذليين .1 /99.
23-انظر الكتاب 1 /99.
24-ديوانالهذليين .1 /36.
25-المصدر السابق . 2 /211.
26-المصدر السابق .1 /34.
27-انظر: شرح المفصل.7 /48-49.
28-انظر الكتاب . 3 /514.
29-انظر: المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني ، تحقيق : الدكتزر كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلان ، الجمهورية العراقية ، 1982م.
30-شرح الرضي على الكافية. 4 /83.
31-ديوان الهذليين. 3 /64.
32-انظر: المصدر السابق .3 /64.
33-انظر: الكتاب .4 /233.
34-انظر: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ، دراسة نحوية بلاغية تداولية ،رسالة ماجستير ، إعداد الطالبة : ناغش عيدة ، ص:3.

35-ديوان الهذليين.1 /83.
36-انظر: ديوان الهذليين.1 /83.
37-انظر :المقتضب.1 / 43-44.
38-سورة الإنسان من الآية (1).
39-انظر معاني الحروف للرماني ، حققه وخرج شواهده : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص:102.
40-انظر: معاني الحروف .ص:102.
41-انظر: الكتاب. 1 /51.
42-ديوان الهذليين .1 21.
43-المصدر السابق.2 /204.
44-المصدرالسابق.1 /237.
45-المصدرالسابق.1 /160.
46-المصدرالسابق.2 /17.
47-انظر: الكتاب 4/ 228.
48-انظر: المقتصد في شرح الإيضاح .2 /744.
49- ديوان الهذليين.1 /3.
50- المصدر السابق. 2 /168.
51- انظر: الكتاب .4 /233.
52- المصدر السابق .1 /217.
53- ديوان الهذليين. 1 / 52.
54- المصدر السابق.1 /52.
55- المصدر السابق. 2 /85.
56- انظر: الكتاب .2 /398.
57- انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب.1 /549.
58- انظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ص 391، قيس إسماعيل الأوسي، بغداد ،1989م.
59- ديوان الهذليين.3 /45.
60- المصدر السابق . 3 /47.
61-انظر: المقتضب ،1 \41
62-شرح المفصل 4 /5.
63-انظر: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب ،لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة القاهرة. 4 \19
64-ديوان الهذليين.1 /2.
65-المصدر السابق .3 /32.
66-انظر: الكتاب .4 /233.
67-ديوان الهذليين.2/144.
68-انظر: الكتاب.1 /100.
69-انظر: المصدر السابق. 4 /233 .
70-شرح المفصل .4 /109.
71-اللمع في العربية. ص295 لابن جنى، تحقيق: حسين محمد شرف، عالم الكتب بالقاهرة، ط 1 ،1979م.
72-انظر: شرح المفصل.7 /10.
73-انظر: شرح الرضي على الكافية. 3 /206. الاستراباذي تصحيح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس ط2 -1996م.
74-انظر: المقتضب .2 /311.

75-انظر: مغني اللبيب .3 /140.
76-مغني اللبيب .2 /159.
77- ديوان الهذليين. 1 /93.
78-المصدر السابق. 1 /227.
79-المصدر السابق .1 /127.